صورة الفلسطينيين في الغرب

المفهوم والمحددات والمضمون

محمد خالد الأزهري

في حالات الصراع بين طرفين، يحاول كل طرف تشويه صورة الطرف الآخر، والتدقيق في سلبياته عبر عدسة مكبرة ؛ ويؤدي التوتر الناجم عن الصراع الى تصعيد الاتجاه، لدى كل طرف، الى ابراز المتناقضات الاجتماعية والدينية والسلوكية والقيمية عند الخصم وتشويهها تماماً. وثمة هدف مزدوج لهذه العملية: على الصعيد الخارجي هي تبرير للدعوة الى ابادة العدو؛ وعلى الصعيد الداخلي ترمي الى رفع المعنويات وتحويل الصراع الى اسطورة قومية.

هذه الاستراتيجية أبرزت أهمية دراسة الصورة القومية وأثرها في العلاقات الدولية، وخصوصاً في تلك العلاقات التي تأخذ طابع العداوة. غير أن البعض حاول ان يحيل الجانب الاهم من الصراع العربي ـ الصهيوني (والفلسطيني ـ الاسرائيلي) الى هذه الابعاد النفسية الناجمة عن التصورات المتبادلة. وقد ركزت الصهيونية على هذا البعد في السنوات الاخيرة، وفي ذلك مغالطة كبيرة. فالعداوة والصداقة بين الشعوب، وبالتالي صورة الصديق وصورة العدو، ما هي الا انعكاسات لواقع العلاقات المادية في الاساس. وهي تتراوح بين نموذج العلاقات المتكافئة والتعاون المتبادل وبين الانانية المفرطة والنهب الاستعماري والغبن والقهر القومي.

ان هذا لا ينفي الاهميـة التي يجب ان توليها الحركة الفلسطينية للهيئة التي تبدو عليها في الخارج عموماً، وفي الغرب خصوصاً؛ وبعبارة أخرى، للصورة المطبوعة في اذهان الاوساط الخارجية.

لم يكن الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، في اي يوم، بمعزل عن تأثير القوى الغربية في مساره. ومتابعة الموقف الغربي أبرزت مدى التشويه الذي تبدو عليه صورة فلسطين والفلسطينيين. ومن هنا، فان التأثير في ملامح وطبيعة هذه الصورة، وتصحيحها، يضيف الى رصيد الكفاح الفلسطيني الشيء الكثير. فما هو مفهوم الصورة القومية عموماً ؟ وما هو مفهوم الصورة الفلسطينية ؟ بل هل توجد صورة خاصة بالفلسطينيين في الغرب، وهم جزء أصيل من العرب ؟ وماذا نقصد بالغرب، في هذا السياق ؟ وما هي العوامل التي شكلت محددات هذه الصورة الفلسطينية ؟ وما هو مضمونها هنا ؟ وأخيراً، ما هو مستقبل الصورة الفلسطينية في الغرب ؟

ان الاجابة عن هذه الاسئلة هي ما تحاول هذه الدراسة ان تتعامل معه.

حول مفهوم الصورة القومية

لكل شعب من الشعوب شخصيته القومية التي تشكل السمات والخصائص المميزة للشعب،